

٠٣٦٦.٠٢.٠٣٢٩

محاضرة في الفلسفة"، ملاحظات لنمر مرقس"

الفلسفة"، تحدث فيها عن ملاحظات كتبها نمر مرقس بعنوان "محاضرة في الشيوعيين الذين يدرسون الفلسفة.

ولكن لقسم آخر من الناس وجهة نظر أخرى ، هي ان هذه الحرب هي حرب مدوانية من جانب اسرائيل الوحشية ، وهدفها التوسع وخدمة مصالح ارباب رؤوس الاموال في اسرائيل وفي خارجها ، وخصوصا الامريكين .

مما تقدم نرى ان وجهات نظر مختلفة ، بل ومتعارضة ، تجاه الظاهرة الواحدة . ومن هنا نستنتج ان الفلسفة - وجهة النظر من هذه الظاهرة او تلك ، او وجهة النظر عن العالم - ليست واحدة . فلكل فئة او طبقة من الناس وجهة نظرها .

وعلى هذا : لا توجد فلسفة واحدة لكل الناس من كل الطبقات ، او لا توجد فلسفة فسوق

الطبقات . الفلسفة دائما حزبية .

* لماذا ندرس الفلسفة ؟

بالنسبة لنا نحن الشيوعيين ، لا ندرس الفلسفة للتسلية . . . او بدافع حب الحكمة المجرد . وانما ندرسها لاننا نرغب في تغيير الحياة الى الافضل . ونحن لا نستطيع اجراء هذا التغيير الا اذا فهمنا العالم واحداً وظواهره فهماً صحيحاً . وبدون هذا الفهم الصحيح لا يستطيع تحديد مواقفنا تحديداً صحيحاً تجاه هذه الظاهرة او تلك . وبالتالي لا نستطيع مواجهتها ولا التأثير فيها التأثير الصحيح . (لولم يكن لحزبنا الشيوعي فلسفته الخاصة ، لما استطاع مثلاً تحديد موقفه المعروف من حرب حزيران تحديداً صحيحاً ، ولسقط في خطأ تأييد هذه الحرب المدوانية) .

ولكن ليست كل فلسفة تعطينا المعرفة الصحيحة . هنالك فلسفة واحدة بإمكانها ان تعطينا هذه المعرفة ، تلك هي الفلسفة التي تعتمد على العلوم ومنجزاتها ، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً .

انها الفلسفة الماركسية ، التي تمثل وجهة نظر الطبقة العاملة وتميز عن مصالحها واهدافها . اي انها فلسفة الطبقة التي ننتمي اليها نحن الشيوعيين ، وتؤلف حزبها الحقيقي .

ولذا علينا ان ندرس هذه الفلسفة ونسترشد بها في اعمالنا ونشاطاتنا . *نظرية المادية الماركسية*

* الظواهر في العالم قسمان :

ذكرنا سابقاً ان الفلسفة هي وجهة النظر العامة عن العالم وظواهره . وحتى يكون الانسان وجهة نظره من ظاهرة ما ، عليه ان يعرف خواصها .

اننا اذا فحصنا الظواهر التي لا تخص في العالم (تدونا امثلة عديدة منها في بداية الحديث) نجد انها تنقسم من حيث خواصها الى قسمين :

الظواهر مستقلة عن وعي الانسان ، اي موجودة موضوعياً . ومنها الانسان عن طريق حواسه : يلمسها ، يراها ، يذوقها ، يشمها ، يهضمها ، يهضمها ، يهضمها .

ان الظواهر من هذا النوع تسمى ظواهر مادية .

٢- اما القسم الثاني فهي ظواهر موجودة في وعي الانسان ونتيجة عن نشاط دماغه واعصابه . ولا يستطيع الانسان ان يحسها بحواسه الخمس ولا ان يقيسها او يزننها .

ان الظواهر من هذا النوع تسمى الظواهر الروحية او المثالية .

* الترابط بين الظواهر :

ان الظواهر العادية والروحية غير منفصلة عن بعضها . فأى ترابط يقوم بينهما ؟
وبكلام آخر : ما هو الترابط بين المادة والروح ؟ بين الطبيعة والوعي ؟ بين الكائن الموضوعي والفكر ؟ اى منهما هو الاصل ؟ اى منهما ينشأ عن الآخر ؟
هنالك جوابان متعارضان كلياً على هذا السؤال .

فقسم من الفلاسفة يجيب : ان المادة (الطبيعة ، الكائن الموضوعي) هي الاصل ،
وان الروح (الفكر ، الوعي) تنشأ عن المادة (تنحس عنها) .
وهؤلاء هم الفلاسفة الماديون .

وقسم آخر من الفلاسفة يجيب : ان الروح ، الفكر ، الوعي هو الاصل . وانه هو الذى
انشأ (خلق) المادة .

وهؤلاء هم الفلاسفة المثاليون .

وعلى هذا فالفلسفة مدرستان : المدرسة المادية ، والمدرسة المثالية . وقسم كل
واحدة تيارات مختلفة .

* جانبان للمسألة الاساسية في الفلسفة :

ان للقضية الاساسية - اى نقطة البدء - في الفلسفة وجهان ، او جانبان :

الجانب الاول : يتملق بالترابط بين الظواهر العادية والروحية . ويصور عنه السؤال :
ايهما الاصل ؟ وهذا ما تحدثنا عنه سابقاً ، فربما كيف ينقسم الفلاسفة في الجواب عليه
الى ماديين ومثاليين .

الجانب الثاني : يتملق بسؤال آخر هو : هل بإمكان الانسان معرفة العالم (الطبيعة
والمجتمع) معرفة حقيقية أكيدة ؟

حول الجواب على هذا السؤال ايضا يظهر الانقسام بين الفلاسفة الى ماديين ومثاليين .
فالفلاسفة الماديون يجيبون : نعم بالامكان . والبرهان على ذلك هو الاكتشافات العلمية
المستمرة والتطور الدائم في المعلوم . لقد كشف العلم الكهر الكثير من اسرار الطبيعة . واما
ما لم يستطع كشفه حتى الان فسيتم اكتشافه يوماً ما .

اما الفلاسفة المثاليون فيجيبون : لا . ليس بالامكان للانسان معرفة العالم معرفة
حقيقية أكيدة . فهناك " اسرار بعد ذاتها " ليس بالامكان كشفها .

ان الذين يؤمنون بإمكانية معرفة العالم (اي الملائكون) يميزهم في حياتهم ونشاطهم
التأول والثقة بالمستقبل . ولذا فهم لا يستسلمون امام المصاعب بل يكافحون للتغلب
عليها .

اما الذين يعتقدون بعدم إمكانية معرفة العالم (اي المثاليون) فيميزهم اليأس والخوف
والتخاذل والاستسلام في وجه المصاعب .

ولهذا نفهم لماذا كانت الفلسفة الملائكية دائمة سلاحا للرافضين في التقدم ، والمكافحين
من اجله . ولماذا كانت المثالية سلاح مقارومي التقدم والطور المستغلين الرجعيين .
* / طريقتان للبحث والدراسة :

بدون دراسة احداث العالم وظواهره لا يستطيع الانسان ، كما ذكرنا ، ان يحدد موقفه
منها او توجهه اليها .

وحتى يدرك هذه الاحداث والظواهر يجب ان يسلك طريقة معينة في البحث والدراسة .
ان الفلاسفة (ومثلهم ايضا الباحثون في مختلف مجالات العلوم الطبيعية او الاجتماعية)
ينقسمون الى قسمين ايضا ، بالنسبة لطريقة بحثهم ودراساتهم .

قسم منهم يدرسون الظواهر والاحداث مترابطة ببعضها كما هي في الواقع ، أي في حركة
وتفاعل وتطور دائم . وهذه الطريقة في البحث والدراسة هي الطريقة الديالكتيكية .
والقسم الاخر يدرسون الاحداث والظواهر ، منفصلة عن بعضها ، منفصلة عن بعضها .
وهذه الطريقة في البحث والدراسة هي الطريقة الميتافيزيقية .

يقول انجلز : " ان الاشياء والمفاهيم المنعكسة عنها ، تمثل بالنسبة للميتافيزيائيين ،
مواضيع منفردة غير مترابطة ، ينهي ان تدرس واحدا بعد الآخر . الواحد منقطع عن الآخر " .
فلنأخذ امثلة :

— قوس قزح (كظاهرة طبيعية) :

ان الباحث لهذه الظاهرة بطريقة ديالكتيكية ، يأخذ في حسابه انه قبل ومع ظهور قوس
القزح انوجدت ظواهر اخرى : غيوم ، مطر ، شمس . ولذا فانه يصل الى نتيجة صحيحة هي :
ان قوس القزح نشأ عن وجود تلك الظواهر ، وهو كظاهرة مترابط بها .
اما الانسان البسيط ، او الباحث بطريقة ميتافيزيقية ، فانه يبحث ظاهرة قوس القزح
لوحدها دون ان يتطلع الى ما سبقها او راقبها من ظواهر اخرى . ولذا فانه يندمخ لنشوءها ،
او يتحجب منها ، ويمجد خالقها المجهول !

— مثل آخر : الاضطهاد القومي (كظاهرة اجتماعية) :

ان الباحث بطريقة ديالكتيكية لهذه الظاهرة ، يسأل نفسه : هل الاضطهاد القومي
هو ظاهرة في بلاد واحدة ام في عدة اقطار ؟ ما هي صفات المجتمع في البلاد التي يظهر
فيها اضطهاد قومي ؟ هل توجد مصلحة لفئة معينة من ذلك المجتمع في وجوده هذه الظاهرة ؟

re w. o. p. l. s

